مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (2)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (2) 2017

العلاقات السياسية البيزنطية الغسانية في القرن السادس الميلادي

الدكتورة شكران خربوطلي*
يونس محمد**

(تاريخ الإيداع 11 / 1 / 2017. قبل للنشر في 12 / 4 / 2017)

□ ملخّص □

يتحدث هذا البحث عن العلاقات بين بيزنطة والغساسنة منذ نزول الغساسنة في شمال غرب الجزيرة (بلاد الشام) قادمين من جنوب شبه الجزيرة، كما يوضح كيف استطاع الغساسنة إثبات قوتهم العسكرية السياسية منذ بداية القرن السادس الميلادي سنة 500م من خلال تحركهم ضد القوات البيزنطية في المنطقة ما لبث الغساسنة أن تقربوا من بيزنطة فسلبوا قبيلة سليح حلفاء بيزنطة مكانتهم، فتحالفوا مع بيزنطة فأصبحوا عمال مخلصين لها، وخاصة في أربعينيات القرن السادس الميلادي حيث حاربوا بجانبها ضد الفرس وعمالهم ملوك الحيرة، ونتيجة لذلك امتد نفوذ الغساسنة على منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية مع أجزاء من شمال البحر الأحمر، كما يركز البحث على تطور العلاقات بين بيزنطة والغساسنة التي تحولت إلى عداء في نهاية القرن السادس الميلادي مما جعل بيزنطة تنهي دور الغساسنة السياسي بأسر ملوكهم ثم نفيهم، وهرب أمرائها الباقين.

* أستاذة– قسم التاريخ– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق– دمشق – سورية
** طالب دراسات عليا(دكتوراه) – قسم التاريخ– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق– دمشق – سورية

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (2)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (2) 2017

Byzantium Al Ghassasina Political relation in The sixth century.

Dr. Shukran –Kharbotli *
Yunis Mohamma**

(Received 11 / 1 / 2017. Accepted 12 / 4 / 2017)

□ ABSTRACT □

This article Talks about relations between Byzantium and Al Ghassasina since Al Gassasina arrived in North west peninsula (Belad Al Sham) levant From The southern Arabian Peninsula As This article shows how could military and Political strength Proof AlGassasina Since sixth century transitional Through movement against The Byzantine Force in The region in 500 and it did not take long before AlGhassasina Approuched From Byzantium it robbed Salih Tribe allies Byzantium Their Standing they allied with Byzantium, They became loyal worker, especially in they Forties of the sixth century So they Frought beside Them against The Persians and their workers The kingdom of Al- Hira as aresult Pussling rippling in Flounce of AlGassacina On The Arabian Peninsula With The North West Parts Of The Northen Red sea. As The article Focuses on The devebpment Of relations between Byzantium and Al-Ghassasina turned To runner at The end Of The sixth Century making Byzantium Al-Ghassasing baser Political role ends and captivate Their king and Them exile and ran The remaining Princes.

*Professor- Department of History- Faculty Of Art And Humanities- Damascus university- Damascus- Syria.
**Postgraduate student- Department of History- Faculty Of Art And Humanities- Damascus university- Damascus- Syria

مقدمة :

تناول هذا البحث (العلاقات البيزنطية الغسانية في القرن السادس الميلادي)، ومن خلال محاولة رصد العلاقات بين قبائل شمال شبه الجزيرة العربية وبيزنطة، وتبيان موقع دولة الغساسنة في شمال غرب الجزيرة العربية، والذي كان له دور كبير في التقارب مع بيزنطة فموقع دولة الغساسنة حمى الحدود البيزنطية في بلاد الشام من غارات البدو الذين كانوا يتجاوز هذه الحدود فيمارسوا نوعاً من الفوضى سواء بالنهب أو الاعتداء، لهذا كان من مصلحة بيزنطة كسب الغساسنة إلى جانبهم من اجل تثبيت حدودها وحقوقها في السيطرة على شمال غرب الجزيرة العربية، وذلك لا يتم إلا من خلال تقوية العلاقات البيزنطية الغسانية فانتعش الغساسنة سياسياً وعسكرياً، وأصبحوا جزءاً لا يتجزأ من تاريخ بيزنطة في المنطقة .

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية البحث بالتعرف على الدور الذي شغله الغساسنة بالنسبة لبيزنطة في القرن السادس الميلادي سواء من الناحية السياسية أو العسكرية أو الدينية وذلك من خلال تسليط الضوء على طبيعة العلاقات بين بيزنطة والغساسنة.

منهجية البحث:

اتبع في هذا البحث المنهج الاستقرائي الذي يعتمد على التحليل والبحث والنقد للاهتداء إلى طبيعة العلاقة بين بيزنطة ودولة الغساسنة، ولتبيان الحقيقة التاريخية قدر المستطاع.

1 وصول الغساسنة إلى شمال شبه الجزيرة العربية

تشير المصادر العربية إلى أن أصل الغساسنة من أزد اليمن، وقد هاجروا من اليمن إلى الشام تحت قيادة زعيمهم عمرو بن عامر مزقياء، وذلك بعد انهيار سد مأرب، أو قبل ذلك بقليل، ويقال: إنهم سموا بهذا الاسم لأنهم في طريق هجرتهم إلى جنوب بلاد الشام نزلوا في أرض تهامة بين بلاد الأشعريين وعك على ماء يقال له غسان، بين وادي زبيد ورمع، فأقاموا بقربه، وشربوا منه، فسموا بذلك الاسم، ويسمى الغساسنة بآل جفنة نسبة إلى جدهم جفنة بن عمرو بن عامر مزقياء(1)، ويسموا أيضاً بآل ثعلبة نسبة إلى جد لهم يدعى ثعلبة(2) .

وعند نزول الغساسنة في أرض الشام، كان بها قوم يعرفون بالضجاعمة، ينتمون إلى قبيلة سليح، وهؤلاء الضجاعمة كانوا عمالاً لبيزنطة فنزل الغساسنة إلى جوارهم ودفعوا لهم الأتاوة مدة من الزمن ثم قويت شوكتهم، وقد استطاعوا سلبهم مكانتهم لدى بيزنطة(3)، وتذكر المصادر أن رئيس غسان في ذلك الوقت هو ثعلبة بن عمرو، أما رئيس الضجاعمة فهو سبطة وهو من ولد داوود اللثق، وكما ذكرت المصادر أن الخلاف بين الضجاعمة والغساسنة سببه مطالبة سبطة زعيم الضجاعمة بالأتاوات من الغساسنة فرفض إعطاؤه إياها، مما أدى إلى نشوب الحرب بين الطرفين، وفيها استطاع الغساسنة إخراج الضجاعمة من الشام، والحلول مكانهم في تحالفهم مع بيزنطة،(4) وهذا جل ما نقلته المصادر العربية حول وصول الغساسنة إلى أرض الشام وتحالفهم مع البيزنطيين الذين أرادوا أن تكون لهم دولة أو مملكة عربية تضاهي مملكة الحيرة حليفة الفرس في العراق، وخاصة بعد أن قضى الرومان على تدمر سنة 272م التي كانت تعتبر حليفة روما في المنطقة العربية(5).

2 علاقة بيزنطة السياسية مع الغساسنة في النصف الأول من القرن السادس الميلادي

وتختلف المصادر حول أول ملك للغساسنة، فبعضها يزعم أنه جفنة بن عمرو، وذلك في زمن الإمبراطور البيزنطي أنسطاسيوس(6)، أو نوشر كما أورده اليعقوبي(7) أي إنستاسيوس (491–518م)، وبعضها يزعم أنه الحارث بن عمرو بن عامر(8).

وقد استفاد الغساسنة من انهيار دولة كندة في الربع الأول من القرن السادس الميلادي في شمال الجزيرة العربية نتيجة الاضطرابات التي تعرضت لها، بعد مقتل ملكهم الحارث الكندي حليف بيزنطة(9) ، ولم يستطع الأمراء الكنديون الذين جاؤوا بعده أن يسدوا هذه الثغرة(10)، لهذا انتهز الغساسنة الفرصة للتواجد في هذه المنطقة بشكل فعلي(11)، حيث بدؤوا بالتحرك عسكرياً ضد البيزنطيين منذ بداية القرن السادس فذكر المؤرخ ثيوفانس، أن جبلة الغساني أشعل حرباً في فلسطين في سنة 500م ضد القوات البيزنطية، وجبلة هذا أبا الحارث الغساني .(12)

ونتيجة لهذه الظروف التي واكبت تطور الغساسنة السياسي قبلت بيزنطة وجودهم في المنطقة ليكونوا عونا لهم ضد المناذرة والفرس، وأيضاً الوقوف في وجه الغارات الخاطفة التي كان يقوم بها البدو الرحل على الأراضي الخاضعة للدولة البيزنطية في المنطقة(13) .

المهم أن نولدكه يذكر وحسب التاريخ الحربي والسياسي للغساسنة أن ملكها الحارث ابن جبلة كان من الحكام الأقوياء وذوي الشأن بالنسبة لبيزنطة الأمر الذي جعل الإمبراطور جوستنيان الأول (527–565م) يرقي الحارث بن جبلة إلى رتبة ملك، ويسمح له ببسط سلطته على القبائل العربية، حيث لم يكن لأحد سواء من الأمراء الضجاعمة أم من الأمراء الكنديين الذين خضعوا للبيزنطيين مكانة تضاهي ما وصل إليه بنو جفنة فيما بعد، في حين لم تذكر السنة التي رقي فيها الحارث إلى هذه المرتبة، ولكن قدرها نولدكه عام 529م أو 530م(14).

وفي الفترة نفسها اسند جوستنيان الأول(527–565م) فيلارخية ولاية فلسطين الثالثة إلى أخي الحارث أبي كرب، وبذلك أصبح الغساسنة مسؤولين عن حماية الحدود البيزنطية من الشمال في تدمر إلى جنوب وادي الحسا(15)، الأمر الذي لم يتوان الغساسنة في استغلاله لمصلحتهم، خاصة وأنهم كانوا يطمعون في أن يحلوا مكان الكنديين كحلفاء لبيزنطة وكان التوفيق حليف الغساسنة في هذا، لأن منطقة البتراء وسواحل خليج أيله (العقبة) وجزيرة يوتابا لم تلبث أن تحولت إلى يد الغساني أبي كرب بن جبلة أخي الحارث عام 530م(16) فهذه الولاية كانت تتبع فيما سبق لزعيم من قبيلة كندة هو امرئ القيس الكندي (صاحب جزيرة يوتابا) حيث رأى الإمبراطور البيزنطي جوستنيان أن الأمير قيس الكندي هو أنسب مرشح لتولي منصب فيلارخية فلسطين الثالثة، وخاصة بعد طرد خلفاء امرئ القيس الكندي من(جزيرة يوتابا)، وإثارة الاضطرابات من قبل القبائل العربية في تلك الولاية ضد الحكومة البيزنطية، لأن هذه الولاية تشغل الحد الجنوبي الغربي لأملاك الإمبراطورية البيزنطية حتى شبه جزيرة سيناء(17) وتكمن أهميتها بوصول تجارة جنوب شبه الجزيرة العربية براً وبحراً إلى ميناء هذه الجزيرة فيجب أن يقوم على حمايتها رجل قوي، لذا اسند إلى قيس الكندي حراسة الحدود وشؤون الدفاع في هذه الولاية، وترى بيغوليفسكيا أن قيساً كان فيلارخاً ليس فقط على ولاية فلسطين الثالثة، بل أيضاً على ولاية فلسطين الثانية، مما جعله في جوار مباشر مع الحارث الغساني(18)، فوقع التنافس بين الطرفين (19)، الذي كان من شأنه أن يجعل وضع قيس بولايتي فلسطين الثانية والثالثة محصوراً بين مناطق نفوذ الأخوين الحارث وأبي كرب مما أدى في النهاية إلى تقرير مصيره والخلاص منه فأصبح أبو كرب فيلارخاً ليس فقط على ما كان يتبع خلفاء امرئ القيس وقيس الكندي، وهو جزءاً من ولاية فلسطين الثالثة الواقعة إلى الشرق من وادي

عربة، ولكن جميع المناطق التي شكلت ولاية فلسطين الثالثة(20)، ونتيجة تعين الإمبراطور ج وستنيان حوالي عام 530م أبي كرب الغساني على ولاية فلسطين الثالثة قدم أبي كرب لجوستنيان هدية بستان من النخيل في منطقة تبوك شمال الحجاز فقبله الإمبراطور(21)، وواحة النخيل ملكيتها اسميه للإمبراطور البيزنطي لأنها بعيدة عن أملاك الإمبراطورية البيزنطية في المنطقة فطريقها صحراوي لاعمار به.(22)

وقد عرف أبو كرب كيف يحمي هذه المنطقة من جميع الغارات المعادية لا من أعدائه فحسب بل من أتباعه البدو والذين يدينون له بالطاعة، وذلك من جراء قسوته التي اشتهر بها فاستحق أن يكون فيلارخا لبيزنطة(23)، فقد كانت الملاحة في البحر الأحمر ليلاً جداً خطيرة، حتى أن السفن كانت تقترب من ساحلة الأيسر أي الساحل الغربي تحاشياً للأخطار، وكان ساحل البحر الأحمر الشرقي تابعاً للبدو العرب الذين نزلوا منذ القديم في بلاد النخيل(شمال غرب الجزيرة العربية)، وكانت مهمة أبو كرب هي حراسة المنطقة وحمايتها وتأمينها. فبسط سلطانه وأشاع الرهبة في نفوس البدو الخاضعين له(24)، وقد استعان أبو كرب بالأسقف الغساني ثيودور في إدارة كثير من أمور المناطق التابعة له فقد كان ثيودور أسقفاً معروفاً في ولاية فلسطين الثالثة والثانية وفي ولاية سورية الأولى(25)، ويستدل على ذلك من خلال النقش السرياني الذي عثر عليه في منطقة النبك والذي يعود إلى منتصف القرن السادس الميلادي، حيث جاء في النص ((في ايام الأسقفين المحترمين القديسين يعقوب وثيودور، عندما كان أبو كرب ملكاً)) ويظهر في النقش أيضاً دعاء إلى الله تعالى من الأسقفين من أجل رحمة أبي كرب وسائر أخوته المؤمنين(26) ويتضح من النص أن أبا كرب كان ملتزماً بتعاليم المسيحية، وقد امتد النشاط التبشيري للأسقف ثيودور حتى شمال الحجاز التي كانت تشكل جزءاً من ولاية فلسطين الثالثة لأن الحارث تمكن من تحقيق مطلبه لدى الإمبراطورة ثيودورا زوجة جستنيان بتعين الأسقفين يعقوب وثيودور أساقفه في ولايتي سورية والعربية.(27)

ويذكر عرفان شهيد أن الفيلارخ أبا كرب كان مساوياً في الأهمية لأخيه الحارث من المنظور البيزنطي، ولذلك فقد أوكل إلى الحارث تولي أمر الدفاع عن الحدود البيزنطية الممتدة من شمال الفرات حتى سوريا والولاية العربية، وبينما ترك لأبي كرب مهمة الدفاع عن المنطقة الممتدة جنوب وادي الحسا إلى أيله، والتي كانت تشكل حدود ولاية فلسطين الثالثة، بما فيها النقب وسيناء وشمال الحجاز(28)، ويقول عرفان شهيد أن مسؤوليات أبي كرب لم تقتصر على المناطق المختلفة التي تشكل ولاية فلسطين الثالثة بل تعدتها إلى حماية المناطق الغربية من الجزيرة العربية(29)، وقد لخص شهيد أهمية وجود تحالف قبلي تتزعمه قبيلة قوية متحالفة مع البيزنطيين لحماية المناطق المقدسة في فلسطين من هجمات البدو العرب(30)، وحماية التجارة والطرق التجارية القادمة من الحجاز والمارة عبر مناطق فلسطين الثالثة والولاية العربية باتجاه بصرى ودمشق في الشمال، والمتجهه أيضاً إلى غزة على ساحل البحر المتوسط، وأخيراً حماية المجتمعات الحضرية من غارات البدو التي تنطلق من الجزيرة العربية.(31)

وفي الأربعينات من القرن السادس بلغ الغساسنة أوج قوتهم، وكانوا سند ودعامة لبيزنطة ضد جميع القبائل العربية المعادية لها، فعرفت بيزنطة مكانة زعماء الغساسنة، وهي الساعية إلى ملك تابع لها يوازي في ثقله المنذر ملك الحيرة التابع للفرس، فميز منذ البداية الحارث الغساني نفسه من خلال المعارك التي خاضها ضد المنذر بن ماء السماء، سواء تلك التي كانت برفقة البيزنطيين، أم التي قادها بشكل منفرد، من منطقة نفوذ الغساسنة الرئيسة جنوب بلاد الشام(32).

وقد بدأت بواكير الصراع بين الغساسنة حلفاء البيزنطيين، والمناذرة حلفاء فارس عندما وجه جوستنيان قادته في بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين للانتقام من المنذر بن ماء السماء الذي قتل الحارث الكندي سنة 528م، وكان

ملك العرب الذي خرج لمقاتلة المنذر مع القواد البيزنطيين هو الحارث بن جبلة، عندئذ لاذ المنذر بالفرار في جوف الصحراء تاركاً الأطفال والنساء غنيمة للحارث، الذي تمكن من تدمير أربعة من الحصون الفارسية وأسر من فيها من الرجال من عرب وفرس(33)، وبعد تلك المعركة بسنة اشترك الحارث مع البيزنطيين في القضاء على ثورة السامرة 529م(34)، ونتيجة تلك المساعدات التي قدمها الحارث للبيزنطيين أصبح الشرطي الأمين المتخذ للضرب على أيدي المتمردين على السلطة البيزنطية(35)، ثم اشترك الحارث بن جبلة مع البيزنطيين في المعركة التي وقعت مع الفرس ليلة الفصح 19 نيسان سنة 531م(36)، وكان سبب المعركة قيام الجيش الفارسي، ومعه المنذر بن ماء السماء بغارة عنيفة على الأراضي التابعة لبيزنطية في المنطقة، وفي حين لم يكن قائد الجيش البيزنطي بليزاريوس راغباً في دخول المعركة فقد اضطر إلى ذلك، وهنا وجد العرب أنفسهم وجهاً لوجه، فكان الحارث الغساني إلى جانب البيزنطيين، وكان المنذر بن ماء السماء إلى جانب الفرس فهجم جنود المنذر بضراوة على جنود الحارث الغساني وأعملوا السيف ببعضهم، وقد قتل في هذه المعركة أحد أبناء المنذر ويدعى النعمان، وقتل أيضاً أحد قادة الغساسنة ويدعى عمرا(37).

وعلى الرغم من الصلح الذي عقد في عام 532م بين الفرس والبيزنطيين فإن هذا لم يمنع من حدوث صدام(38) بين الحارث بن جبلة، والمنذر بن ماء السماء حول ما يسمى الأستراتا(39) (**strata**)(40) علماً أن هذه المنطقة هي عبارة عن منطقة رعي لا شجر فيها ولا زراعة، وقد زعم بروكوبيوس أن كسرى أنوشروان هو الذي حرض المنذر على التحرش بالحارث للإخلال بشروط الصلح، وإيجاد سبب لتجديد الحرب (41) ، أما المنذر فادعى أن البدو الرحل الذين يرعون قطعانهم في المراعي الواقعة حول هذه المنطقة يدفعون الأتاوات للحيرة، فرد الحارث عليه بأن هذا الطريق ملك للإمبراطورية الرومانية منذ عهد بعيد كما يتبين من اسمها اللاتيني(42)، وكان هذا النزاع من الأسباب التي أججت نار النزاعات بين الدولتين بعد أن خفت حدتها(43) .

وبغض النظر عن معاهدة السلام بين بيزنطة وفارس يذكر بروكوبيوس بأن كسرى أنوشروان قد حرض المنذر على مهاجمة الغساسنة، بحجة أن الحارث الغساني هاجم أراضيهم، ورداً على ذلك فقد هاجم المناذرة أراضي بيزنطة(44) ، ونتيجة لذلك فقد كُلّف جوستنيان أرخون الخزانة الإمبراطورية ومعه سموس قائد جيش فلسطين بتسوية هذا النزاع، وكان حل هذا الخلاف بالتنازل عن هذه الأرض للمنذر بن ماء السماء، وعدم إعطاء الفرس ذريعة لنقض الصلح(45)، وخلال ذلك حاول القائد البيزنطي سموس استمالة المنذر بإعطائه مبالغ كبيرة من المال لقاء تحوله إلى جانب بيزنطة، ووقوفه على الحياد في أية حرب بيزنطية فارسية مقبلة؛ وعلى هذا الأساس أعلن كسرى أنوشروان أن المعاهدة مع بيزنطة ملغاة(46) .

وقد تجدد الصراع بين الغساسنة والمناذرة في عام 541م حيث تقدم الحارث الغساني باتجاه العراق برفقة القائد البيزنطي بليزاريوس، وعبر نهر دجلة على رأس جيشه، ولكنه ارتد إلى مركزه عن طريق أخرى غير التي اتبعها الجيش البيزنطي(47)، الأمر الذي جعل البيزنطيين يشكون في صدق نوايا الحارث، وربما كان سبب سلوك الحارث معاملة القائد البيزنطي له بشكل غير مناسب.

أما المنذر بن ماء السماء فقد شارك الفرس في حملتهم على سوريا عام 542م ، ووصل حتى فلسطين وبعدها بعامين ساعد في الأعمال العسكرية الفارسية عند مدينة الرها، وكانت مهمة جنوده إلقاء القبض على الفارين من الجيش البيزنطي، عندما لم يتمكن الفرس من المدينة انسحبوا مقابل دفع البيزنطيين المال لهم، وتم بعد ذلك عقد صلح بين الطرفين لمدة خمس سنوات(48). ولكن تلك المعاهدة لم تمنع من تجدد النزاع بين الحارث والمنذر سنة 544م(49)، حيث وقع نتيجتها أحد أبناء الحارث الغساني أسيراً بيد المنذر الذي قدمه أضحية للإلهة أفروديت(العزى)، وقام المنذر

الثالث أيضا بحرق 400 فتاة قدمهن قرابين للإلهة العزى(50). وكانت نهاية المطاف في الصراع بين الخصمين العربيين توغل المنذر في بلاد الشام ووصوله إلى منطقة قنسرين وخلالها استطاع الحارث بن جبلة أن يحرز نصراً حاسماً عليه وذلك في شهر حزيران سنة 554م(51) في المعركة التي وقعت في منطقة الحيار(52) بالقرب من قنسرين(53)، حيث تم له قتل المنذر بن ماء السماء(54)، ولكنه أيضا خسر أحد أبنائه في هذه المعركة(55).

3 -علاقة بيزنطة السياسية مع الغساسنة في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي

بعد مقتل المنذر بن ماء السماء على يد الحارث تسلم الحكم ابنه عمرو بن المنذر(554 –574م)(56) الملقب عمرو بن هند(57) ، وتذكر المصادر البيزنطية أن عمرا أغار على بلاد الشام في سنة 563م، وكان الحارث بن جبلة لا يزال ملكاً على الغساسنة، وسبب هذه الغارة امتناع البيزنطيين عن دفع ما كان يدفعونه سابقاً للمنذر بن ماء السماء من أموال ليتوقفوا عن غاراتهم على بلاد الشام(58)، حيث أن جوستنيان اضطر بعد مقتل المنذر على يد الحارث أن يدفع المال إلى عمرو بن المنذر ملك الحيرة بناءً على نصيحة الحارث بن جبلة(59)، الذي طلب منه ذلك عندما ذهب إلى القسطنطينية في تشرين الثاني سنة 563م، للبحث مع البيزنطيين في من يخلفه من أبنائه على حكم الغساسنة بعد وفاته، وأيضاً من أجل اتخاذ التدابير المناسبة ضد ملك الحيرة عمرو بن هند(60)، والذي أرسل أخاه قابوسا بغارتين انتقاميتين ضد الغساسنة وذلك في سنة 566م و567م على التوالي(61).

وقد قتل عمرو بن هند على يد الشاعر التغلبي عمرو بن كلثوم، الذي لم يتحمل فيما يقال محاولة عمرو بن هند إذلال أمه(62)، فاعتلى عرش الحيرة بعده أخوه قابوس (574 – 578م)، الذي استمر في الحكم أربع سنوات(63)، وقد استغل قابوس موت الحارث بن جبلة فهاجم الغساسنة ونهب مواشيهم وجمالهم، ولكن المنذر بن الحارث جمع جيشه وتبع قابوسا(64) حتى دخل منطقة نفوذه إلى مكان لا يبعد عن الحيرة كثيراً، وهناك وقعت معركة بينهما، وهذه المعركة هي على الأرجح معركة عين أباغ التي دارت رحاها شرق سورية(65)، وفيها استطاع المنذر الغساني استعادة ما نهبه قابوس من أموال وجمال(66)، كما وقع فيها بعض أمراء المناذرة أسرى بيد المنذر الغساني(67)، ثم إن قابوسا عاد من جديد للإغارة على الغساسنة وبدون جدوى هزم من جديد(68) حتى أنه كاد يقتل، ولم يتوقف ملك الحيرة عن مهاجمة الغساسنة وخاصة بعد قيام المنذر بن الحارث بشق عصا الطاعة على البيزنطيين، لمحاولة الإمبراطور جوستين الثاني(565– 578م) تدبير مؤامرة لقتله وكان سبب الخلاف بين البيزنطيين والمنذر الغساني مطالبة المنذر للبيزنطيين بالمال(69) للقيام ببعض الأعمال في دولته(70) أو حسب ما رواه ميخائيل السرياني رغبته بتوزيع المال على جنده تحسباً لحرب الفرس(71)، أو أن الخلاف مذهبي حسب ماتذكر بعض المصادر فعندما شعر المنذر بن الحارث بأن بيزنطة تدبر مؤامرة لقتله والتخلص منه هرب إلى الصحراء فأستغل غيابه قابوس ملك المناذرة فهاجم أرض الشام، وعاث فيها فساداً، وتوغل في الأراضي التابعة لبيزنطية في المنطقة، حتى وصل إلى منطقة أنطاكية(72)، فوجد البيزنطيون أنفسهم مضطرين لاسترضاء المنذر بن الحارث مهما كلف الأمر، وبعد ثلاث سنوات من شق المنذر عصا الطاعة على البيزنطيين تصالح معهم في الرصافة(73)، عند قبر القديس سرجيوس(74) وبعدها قام المنذر بالهجوم على الحيرة، للثأر من ملوكها الذين تطاولوا على أرض الشام في فترة غيابه، وقد حدثت هذه الغارة في عام 578م، وخلالها نجح المنذر في إطلاق من كان في سجون الحيرة من الأسرى الذين تم أسرهم نتيجة غارات ملوك الحيرة على الشام، وجلهم أسرى بيزنطيين .

وعندما عزم البيزنطيون بقيادة موريقيوس قائد الجيش البيزنطي في الشرق أن يجهزوا حملة ضد الفرس بالاشتراك مع المنذر الغساني، وجدوا الجسر الكبير على نهر الفرات مهدوماً(75)، فاضطر جيشهم إلى التراجع،

وفشلت الحملة، وهنا اتهم البيزنطيون المنذر الغساني أنه على اتفاق سري مع الفرس، وهو الذي أوعز بهدم الجسر ليكتب للحملة الإخفاق(76)، وأبلغ موريقيوس الإمبراطور تيباريوس (578 – 582م) بهذه الخيانة، فقرروا القبض عليه، والإيقاع به انتقاماً للفشل الذي منيوا به(77)، وأيضا هناك سبب آخر جعل البيزنطيين يتخلصون من المنذر الغساني وهو فشله بالمهمة الدينية الملقاة على عاتقه من قبل الإمبراطور تيباريوس في المنطقة العربية وهي التوحيد بين القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح، وخصومهم القائلين بالطبيعتين(78) ،لأن الغساسنة وملوكها كالحارث بن جبلة والمنذر بن الحارث كانوا من المتعصبين والمدافعين عن المذهب اليعقوبي(79) الذي شاع في بلاد الشام(80) فما كان من المنذر لإثبات براءته من هذه التهمة الملفقة إليه(81) إلا أن يغير في عام 580م، على الحيرة ويحرقها بالنار، ثم رجع من غزوته بغنائم عظيمة(82)، فاعتبر البيزنطيون هذا النجاح تحديا سافرا لجيوشهم فعزموا على الانتقام منه(83)، وصدرت الأوامر إلى حاكم سوريا البيزنطي ماكنوس بالقبض عليه، بالرغم من أنه صديق للمنذر، وبالفعل فقد تم القبض عليه خلال حفل تدشين إحدى الكنائس، وأرسل إلى القسطنطينية 581 – 582م مع ابنين و بنت له، وعندما تولى موريقيوس أو موريس العرش (582 – 602م) نفي المنذر إلى جزيرة صقلية، وبعد ذلك أخذت تتفكك عرى وحدة الغساسنة(84).

وقد حاول النعمان بن المنذر الغساني أن يثور على البيزنطيين ويستعيد مكانة دولته فقام بجمع جيشه واقتحم الأراضي البيزنطية ونهب منها ذهباً وفضة دون أن يأسر أحدا أو يقتل أو يحرق لكن في النهاية استطاع البيزنطيون أسره وأرسلوه إلى المنفى مع أبيه وذلك بين سنة 582 – 584م، وقد أشار ميخائيل السرياني إلى أوضاع الغساسنة في هذه الفترة بما يلي: (قسمت مملكة العرب إلى خمسة عشر رئيساً، مال معظمهم إلى الفرس، وهنا انقرضت مملكة العرب المسيحيين بسبب خداع الروم، وأخذت البدع تتفشى بين العرب)(85).

وبعد ذلك لم يشر الكتاب السريان أو البيزنطيون إلى ملوك الغساسنة، وزاد في إرباك الوضع العام للغساسنة غزو الفرس لبلاد الشام سنة 613 – 614م فصار عرب الشام أمام حكام جدد لم يألفوا حكمهم من قبل.

المهم أن الغساسنة كانوا حلفاء بيزنطة وحماة لها من ضربات الإمبراطورية الفارسية وهجمات المناذرة المحالفين لها، وأيضاً حماة لها من هجمات البدو إلا أنها عندما شعرت بقوتهم تخلصت منهم بسبب أو لأخر اختلقته.

الاستنتاجات والتوصيات:

يتبين من خلال هذا البحث بأن الإمبراطوية البيزنطة كان لها دور كبير في حياة دولة الغساسنة سواء على الصعيد السياسي أوالعسكري أو الديني، فالغساسنة هم حماة للحدود البيزنطة في بلاد الشام سواء من هجمات البدو عليها، أو من هجمات الفرس والمناذره المحالفين لها، ولكن عندما شعرت بيزنطة بقوتهم وبخطرهم تخلصت منهم لسبب أو لآخر اختلقته سواء كان هذا السبب سياسياً أو عسكرياً أو اختلافاُ مذهبياً، ولم تشفع لهم خدماتهم، وإنجازاتهم العسكرية في خدمة الدولة البيزنطية في إنقاذ دولتهم من الانهيار على يد بيزنطة.

المراجع:

1–المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين : *مروج الذهب ومعادن الجوهر* ، شرحه وقدمه مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ،ط2، ج2، ص204 – ص205 .

2–نولدكه، ثيودور: *أمراء غسان*، ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق،المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1933م، ص4.

3–اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب : *تاريخ اليعقوبي*، دار صادر ،بيروت، 1960م، ج1، ص205. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : العبر وديوان المبدأ والخبر ، تصحيح علال الفاسي، وعبد العزيز إدريس ، تعليق شكيب أرسلان، مطبعة النهضة، القاهرة، 1936م، ج2، ص72 .

4–الأصفهاني، همزة بن حسن : *تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء* ،دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 89–ص90 . باشميل (محمد أحمد): العرب في الشام قبل الإسلام، دار فكر، ص164.

5 – SHAHID, IRFAN: *Arethas Son of Jabalah*, Journal Of The American Oriental Society, 1956, P 206 .

6–الأصفهاني، *تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء*، ص90 .

7–اليعقوبي ، *تاريخ اليعقوبي*، ج1، ص 206– ص207.

8–المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*،ج2، ص116.

9–سالم، عبد العزيز : *تاريخ العرب في العصر الجاهلي* ، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1967م، ص319 .

10–علي، جواد : *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام* ، دار العلم للملايين، بيروت،ط 3، 1980م ،ج3، ص383 .

11–بيغوليفسكيا، نينا فكتورفنا : *العرب على حدود بيزنطة وإيران* ، ترجمة صلاح هاشم ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت، 1985م، ص217 .

12–. Shahid, Arethas Son of Jabalah, P 206 نقلاً عن ثيوفانس.

13– الشاعر ، محمد فتحي : *السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي (عصر جوستنيان)*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989م، ص166 .

14– نولدكه، *أمراء غسان*، ص11.

15 – SHAHID, IRFAN: *Byzantium and The Arabs in The Sixth Century*, Washington, D.C, Dumbarton Oaks, 2002, Vol1, p24.

16– بيغولفسكيا، *العرب على حدود بيزنطة وإيران*، ص178.

17– بيغوليفسكيا، *العرب على حدود بيزنطة وإيران*، ص205.

18– موسل، الويس: *شمال الحجاز، ترجمة عبد المحسن الحسين*، الإسكندرية، 1982م، ص121.

19– بيغوليفسكيا،*العرب على حدود بيزنطة وإيران*، ص205.

20 –SHAHID, IRFAN: *Byzantium and The Arabs in The Fourth Century*, Washington, D.C, Dumbarton Oaks, 1984, p89.

21 -SHAHID, *Byzantium and The Arabs in The Sixth Century*,Vol1,p28

22– موسل، *شمال الحجاز*، ص121.

23- موسل، *شمال الحجاز*، ص121. بيغوليفسكيا،العرب على حدود بيزنطة وإيران، ص.205

24- موسل، *شمال الحجاز*، ص121.

25 -SHAHID, *Byzantium and The Arabs in The Sixth Century*, Vol1,P763-P765.

26- نولدكه، أمراء غسان، ص28

27- Shahid, Byzantium and The Arabs in The Sixth Century, Vol1,P89. نولدكه، أمراء غسان، ص21.

28 - SHAHID, *Byzantium and The Arabs in The Sixth Century*, Vol1,P29.

29 - SHAHID, *Byzantium and The Arabs in The Sixth Century*, Vol1,P31.

30 - SHAHID, *Byzantium and The Arabs in The Sixth Century*, Vol1, p54,p476

31 -SHAHID, Byzantium and The Arabs in The Sixth Century, Vol1,p476

32 - SHAHID, *Arethas Son of Jabalah* ,PP -206,207 . Muller(Walter): Survey of the History of the Arabian ,Peninsula From the First Century A.D to the Rise Of Islam. Studies in The History of Arabia, Riyadh university, Vol2, press 1984,P13

33- الشاعر، *السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي* ، ص167

34- ثورة السامرة : حدثت في فلسطين، وسببها التشريعات القاسية للحكومة البيزنطية، مما أدى إلى تمرد السامرة في ربيع عام 529م، والذين عينوا عليهم قاطع طريق يدعى جوليان و توجوه إمبراطوراً لهم ، وقد شارك الحارث بن جبله ملك الغساسنة مع البيزنطيين بالقضاء على هذه الثورة، وتذكر الروايات أن عشرين ألف سامري ماتوا في هذه الثورة و باع ملك الغساسنة قسما منهم الى الهند و فارس.

SHAHID, *Arethas Son of Jabalah*, P 208 .

35- الشاعر، *السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي*، ص167.

36- نولدكه، *أمراء غسان*، ص17.

37- العلان ، أرواد : *السياسة الساسانية تجاه بيزنطة في القرن السادس الميلادي* ، رسالة ماجستير غير منشوره، إشراف محمود فرعون، دمشق، 2005م، ص140.

38 -PROCOPIUS, *History Of The Wars, Vole2*,Translated by H . B dewing Combridge, London, Vol l ,1979, P261 -263.

علي، المفصل، ج3، ص222 .

39- الأستراتا، *هي الأرض الممتدة من دمشق إلى ما بعد تدمر حتى مدينة سرجيوبولس* ، بينما يحددها بروكوبيوس بأنها البادية الواقعة جنوب تدمر ، نولدكه، أمراء غسان، ص18 .

40- بيغوليفسكيا، *العرب على حدود بيزنطة وإيران*، ص 166 .

41 - Procopius History Of The Wars, Vole2, P261 -263.

علي، المفصل، ج3، ص222 .

42- بيغوليفسكيا، *العرب على حدود بيزنطة وإيران*، ص116 .

43- نولدكه، *أمراء غسان*، ص 18 .

44 -Procopius History Of The Wars, Vole2, P261 -263,

فرعون، محمود : *السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن الثالث حتى السابع الميلادي* ، رسالة دكتوراه غير منشورة بالغة الروسية، ينغراد،1990م ،ص 93 .

45- بيغوليفسكيا، *العرب على حدود بيزنطة وإيران*، ص 116 .

46 -PROCOPIUS, *History Of The Wars*, Vole 2,P261 -263.

فرعون، *السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن الثالث حتى السابع الميلادي*، ص 93 .

47- نولدكه، *أمراء غسان*، ص18 .

48 -PROCOPIUS, *History Of The Wars*, Vole2, P280

49- علي، *المفصل*، ج3، ص407 .

50 –PROCOPIUS, *History Of The Wars*, Vole2 ,P519.

51- علي، *المفصل*، ج3، ص.408

52- الحيار، *تسمى تلك المعركة أيضاً ذات الحيار أو يوم حليمة* . الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود) : الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، ط1,1960م، ج1 ،ص.648

53- الدينوري ، *الأخبار الطوال* ، ج1 ،ص648. جاد المولى بك(محمد أحمد) : البجاوي (علي محمد) وآخرون : أيام العرب في الجاهلية، دار الفكر، 1961م، ص55 .

54- نولدكه، *أمراء غسان*، ص18 ، ص19

55- علي، *المفصل*، ج3، ص.408

56- ابن هند، نسبة إلى أمه هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي و هند هذه عمة امرئ القيس بن حجر الكندي الشاعر و الأمير الشهير . الأصفهاني ، تاريخ سني ملوك الأرض و الأنبياء ، ص 84 . الحلي(هبة الله): المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق صالح درادكه، محمد عبد القادر خريسا، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان، الأردن،ط1، 1984م ،ج1 ،ص127 .

57- بيغوليفسكيا، *العرب على حدود بيزنطة وإيران*، ص134 .

58- علي، *المفصل*، ج3، ص254 .

59- الشاعر ،*السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي*، ص170 .

60- نولدكه،*أمراء غسان*، ص202 .

61- علي، *المفصل*، ج3، ص254 .

62- الاصفهاني، *تاريخ سني ملوك الأرض و الأنبياء*، ص84 .

63- فرعون، *السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن الثالث حتى السابع الميلادي*، ص104

64- مار ميخائيل الكبير: *تاريخ مار ميخائيل الكبير، ترجمة غريغوريوس صليبا شمعون* ،دار ماردين، ط 1، حلب، 1996م، ج2، ص196

65 -ROTHSTEIN, GUSYAV: *Die Dynastie der lahmidem in al – Hira*, Berlin, 1899 , P103.
نولدكه، أمراء غسان، ص25.

66- مار ميخائيل الكبير: *تاريخ مار ميخائيل الكبير*، ج2، ص196

67 -ROTHSTEIN, *Die Dynastie der lahmidem in al – Hira* ,P103.
نولدكه، أمراء غسان، ص.25

68 -ROTHSTEIN, *Die Dynastie der lahmidem in al – Hira*, P 103 .
مار ميخائيل الكبير، تاريخ مار ميخائيل الكبير، ج2، ص.196

69- مار ميخائيل الكبير، *تاريخ مار ميخائيل الكبير*، ج2، ص196.

70- نولدكه، *أمراء غسان*، ص25. علي، المفصل، ج3، ص259

71- مار ميخائيل الكبير، *تاريخ مار ميخائيل الكبير*، ج2، ص196.

ROTHSTEIN, *Die Dynastie der lahmidem in al – Hira*, P 103 .

72- مار ميخائيل الكبير *تاريخ مار ميخائيل الكبير*، ج2، ص196

73- الرصافة، *مدينة بالقرب من مدينة الرقة . القزوين(زكريا بن محمد بن محمود) : أثار البلاد وأخبار العباد*، دار صادر، بيروت، 1960م، ص198، مادة الرصافة.

ROTHSTEIN, *Die Dynastie der lahmidem in al – Hira*, P 103 .

74- نولدكه، *أمراء غسان*، ص25- ص26

75- مار ميخائيل الكبير، *تاريخ مار ميخائيل الكبير*، ج2، ص210. نولدكه، أمراء غسان، ص29 .

76- مار ميخائيل الكبير، *تاريخ مار ميخائيل الكبير*، ج2، ص210. علي، المفصل، ج3، ص415 .

77- سالم، *تاريخ العرب في العصر الجاهلي* ، ص234 .

78- فروخ، عمر: *تاريخ الجاهلية*، دار العلم للملايين، بيروت،1964، ص.72

79- المنوفيزية اليعقوبية، تنسب إلى يعقوب البرادعي اعتقد أصحاب هذا المذهب بأن المظهر البشري والإلهي في المسيح هو عبارة عن طبيعة مركبة واحدة أي (الطبيعة الواحدة لكلمة الله المتجسدة) وليس الله نفسه ومن هنا أتى اسمهم المنوفيزيين أي الطبيعة الواحدة . داوود(أحمد) : تاريخ سورية الحضاري،دار الرأي، ط 1 ، 2006م، ج4، ص492 .

80- شيخو، لويس : *النصرانية وآدبها*، مطبعة الآباء اليسوعين، بيروت، 1912م، القسم الأول، ص35ومابعد

81- سالم، *تاريخ العرب في العصر الجاهلي*، ص234 .

82- نولدكه، *أمراء غسان*، ص29

MULLER, *Survey of the History of the Arabian* ,Peninsula From the First Century A.D to the Rise Of Islam.,P130

83- سالم، *تاريخ العرب في العصر الجاهلي*،ص235.

84- نولدكه، *أمراء غسان*، ص30- ص31 . علي، المفصل، ج3، -ص 415- ص 416، العلي(صالح) : محاضرات في تاريخ العرب، مطبعة الأرشاد،بغداد، 1968م ،ج1، ص59. سالم، تاريخ العرب في العصر الجاهلي، ص235

85- مار ميخائيل الكبير، *تاريخ مار ميخائيل الكبير* ، ج 2، ص 238- ص 239 .نولدكه، أمراء غسان، ص32 - ص33. علي، المفصل، ج3، ص417- ص418 .

MULLER, *Survey of the History of the Arabian* ,Peninsula From the First Century A.D to the Rise Of Islam,P130